سيرة ابن هشام

الجزء الأول

صفحة 144-180

خبر لَخنيعة وذي نواس

فوثب عليهم رجل من حِمْير لم يكن من بيوت المملكة، يقال.لـه: لَخْنيعة[i] ينوف ذو شَنَاتر[ii]، فقتـل خيـارهم، وعبـث بـبيوت أهـل المملكـة منهم، فقال قائل من حمير للَخْنيعة:

تُقَتِّل أبنَاها وتنفى سَراتَها وتبني بأيديها لها الذلّ حميرُ

تُدَمِّر دنياها بطيشِ حلومِها وما ضَيَّعَتْ من دينها فَهْوَ أكثرُ

كذاك القرونُ قبلَ ذاك بظلمِها وإسرافِها تأتي الشرورَ فتخسَرُ

فسوق لخنيعة: وكان لَخْنيعـة امـرءاً فاسـقاً يعمـل عمـل قـوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه فـي مَشْـرَبة له قد صنعها لذلك. لئلا يُمَلَّك بعدَ ذلك، ثم يَطْلُع من مشـربته تلـك إلـى حرسه ومن حضر من جنـده، قـد أخـذ مِسـواكا، فجعلـه فـي فيـه، أي: فيعلمهم أنه قد فرغ منه، حتى بعـث إلـى زُرْعـة ذي نُـواس[iii] بـن تُبـان أسعد أخي حسان، وكان صبيا صغيرا حين قُتل حسان، ثـم شـب غلامـا جميلا وسيما ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريد منه، فأخــذ سكينا جديداً لطيفاً، فخبأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثـب إليه فواثبه ذو نُواس، فوجاه[iv] حتى قتلـه، ثـم حـزَّ رأسـه، فوضـعه فـي الكُوَّة التي كان يُشرف منها، ووضع مسواكه فـي فيـه، ثـم خـرج علـى الناس، فقالوا له: ذا نواس

أرطْب أم يَبـاس[v] فقـال: " سَـلْ نَحْمـاس[vi] اسْـترطُبان ذو نـواس اسْترطُبان[vii] لا باس ".

قال ابن هشام: هـذا كلام حميـر. ونحمـاس: الـرأس. فنظـروا إلى الكوة فإذا رأس لخنيعة مقطوع، فخرجوا في إثـر ذي نـواس حـتى أدركوه، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

ملك ذي نواس: فملَّكوه، واجتمعت عليه حميـر وقبائـل اليمـن، فكان آخر ملوك حمير، وهو صاحب الأخدود، وتسـمى: يوسـف، فأقـام في ملكه زماناً.

سبب وجود النصرانية بنجران: وبنجران بقايا مـن أهـل ديـن عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضـل واسـتقامة مـن أهل دينهم، لهم رأس يقال له: عبد الله بن الثامر.

وكان موقع أصل ذلك الدين بنجـران، وهـي بأوسـط أرض العـرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثـان يعبـدونها، وذلـك أن

رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: فَيْمِيون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به.

حديث فَيْمِيون[viii]**: قال ابن إسحاق**: حدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس، عن وهب بن مُنَبِّه اليماني أنه حدثهم: أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلا من بقايا أهل دِين عيسى ابن مريم يقال له فَيْمِيون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا، مُجاب الدعوة، وكان سائحا ينزل بين القرى، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه، وكان بنَّاء يعمل الطين، وكان يعظم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا. وخرج إلى فلاة من الأرض يصلى بها حتى يمسي. قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له: صالح، فأحبه صالح حُبّاً لم يحبه شيئاً كان قبله. فكان يتبعه حيث ذهب،ولا يفطن له فَيْميون، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد أتبعه صالح، وفَيْمِيون لا يدري ؛ فجلس صالح منه منظرَ العين مستخفيا منه، لا يحب أن يُعلم بمكانه، وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين – الحية ذات الرءوس السبعة[ix] – فلما رآها فَيْمِيون دعا عليها فماتت، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه، فَعِيل عَوْلَه فصرخ: يا فَيْمِيون ! التنين قد أقبل

نحـوك، فلـم يلتفـت إليـه، وأقبـل علـى صـلاته حـتى فـرغ منهـا، وأمسى، فانصرف، وعرف أنـه قـد عُـرف، وعَـرف صـالح أنـه قـد رأى مكانه، فقال له: يا فَيْمِيون ! تعلَّم والله ما أحببت شيئاً قـطُّ حبَّـك وقـد أردت صحبتك، والكينونة معك حيث كنت، فقال: ما شـئتُ، أمـري كمـا ترى، فإن علمت أنك تقوى عليـه فنعـم، فلزمـه صـالح، وقـد كـاد أهـل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضـرُّ دعـا لـه فشـفي، وإذا دُعى إلى أحد به ضر لـم يـأته، وكـان لرجـل مـن أهـل القريـة ابـن ضرير، فسأل عن شأن فَيْمِيون، فقيل له: إنه لا يأتى أحداً دعاه، ولكنـه رجل يعمل للناس البنيان بالأجْر، فعمد الرجل إلـى ابنـه ذلـك، فوضـعه في حجرته، وألقى عليه ثوباً ثم جـاءه فقـال لـه: يـا فيميـون، إنـى قـد أردت أن أعمـل فـي بيـتي عملا، فـانطلق معـي إليـه حـتى تنظـر إليـه فأشارطك عليه، فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا ؟ قـال: كـذا وكـذا، ثـم انتشـط الرجـلُ الثـوبَ عـن الصبى[x]، ثم قال له: يا فَيْمِيون، عبد من عباد الله أصابه ما تـرى، فـادعُ الله له ؟ فدعا له فَيْمِيون ؛ فقام الصبي ليس به بأس.

وعَرف فيميون أنه قد عُـرِف، فخـرج مـن القريـة، واتبعـه صـالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشـجرة عظيمـة، فنـاداه منهـا رجل، فقال: يا فَيْمِيون ! قال نعم. قال: ما زلت أنظرك، وأقول: مـتى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرحْ حتى تقوم علـيَّ فإني ميت الآن. قال: فمات، وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف، وتبعـه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدُوا عليهما، فاختطفتهما سَيَّارةٌ من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بنجـران[xi]، وأهـل نجـران يومئذ على

دين العرب، يعبدون نخلةً طويلة بين أظهرِهم لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحُلىَّ النساء، ثم خرجوا إليها، فعكفوا عليها يوماً.

فابتاع فَيْمِيونَ رجلٌ من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخرُ، فكان فيمِيون إذا قام من الليل - يتهجد في بيت له أسكنه إياه سيده - يصلي، استسرج له البيتُ نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، قال: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه. قال فقام فَيْمِيون، فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً فَجَعَفَتْها[xii] من أصلها فألقتها، فاتَّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث وهب بن مُنَبِّه عن أهل نجران.

خبر عبد الله بن الثامر

عبد الله بن الثامر والاسم الأعظم: قال ابن إسحاق:
وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها: أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران: القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فَيْمِيون - ولم يسموه لى باسمه الذي سماه به وهب بن منبه، قالوا: رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران، وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، يعلمهم السحر، فبعث إليه الثامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه حتى أسلم، فوحَّد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه، جعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعْلمُه - فكتمه إياه وقال له: يا ابن أخي ! إنك لن تحملَه، أخشى عليك ضعفَك عنه. والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنَه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمانُ، فلما رأى عبدُ الله أن صاحبَه قد ضَنَّ به عنه، وتخوَّف ضَعْفَه فيه، عمد إلى قِداح[xiii] فجمعها، ثم لم يُبق للّه اسماً يعلمه إلا كتبه في قِدْح، لكلِّ اسم قِدْح، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بِقدْحه، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضره شيئاً، فأخذه ثم أتى صاحبه، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه، فقال: وما هو ؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع، قال: أي ابنَ

أخي ! قد أصبته فأمسكْ على نفسِك، وما أظنُّ أن تفعلَ[xiv].

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد: فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال: يا عبد الله، أتوحِّدُ الله، وتدخل في ديني، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويُسْلم، ويدعو له فيُشْفَى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضُر إلا أتاه فاتَّبعه على أمره، ودعا له فعوفِيَ، حتى رفع شأنه إلى مَلك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت عليَّ أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائى، لأمثلنَّ بك. قال: لا تقدر على ذلك. قال: فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل، فيُطرَح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران، بحورٍ لا يقع فيها شئ إلا هلك، فيُلْقَى فيها،

فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه، قال له عبد الله بـن الثـامر: إنـك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنتُ بـه، فإنـك إن فعلت ذلك، سُلِّطْتَ عليَّ فقتلتنى، قال: فوحَّد الله تعالى ذلـك الملـك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا في يده، فشجه شـجة غير كبيرة، فقتله ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على ديـن عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريـم مـن الإنجيـل وحُكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالـك كان أصل النصرانية بنجران - والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظـيّ، وبعـض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر - والله أعلم أي ذلك كان.

ذو نواس يدعو أهل نجران إلى اليهوديـة: فسـار إليهـم ذو نـواس بجنـوده، فـدعاهم إلـى اليهوديـة، وخيرهـم بيـن ذلـك والقتـل، فاختاروا القتل، فخدَّ لهم الأخدود[xv]، فحرق من حرق بالنـار، وقتـل مـن قتل بالسيف، ومثَّل بهم، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفـاً، ففـي ذي نُواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم : {قُتِـلَ أَصْـحَابُ الْأُخْـدُودِ. النَّـارِ ذَاتِ الْوَقُـودِ. إِذْ هُـمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَمَا نَقَمُوا مِنْهُـمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِالله الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}. [البروج:4-8]

تفسير الأخدود: **قال ابن هشام**: الأخدود: الحَفْر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه، وجمعه: أخاديد. قال ذو الرمـة - واسمه: غَيْلان بن عُقبة، أحد بنى عَدِيِّ بن عبد مناف بن أد بن

طابخة بن إلياس بن مُضر:

من العراقِيَّةِ اللاتي يُحيلُ لها بين الفَلَاةِ وبينَ النخلِ أخدودُ

يعنى: جدولا. وهذا البيت في قصيدة له. قال: ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد، وأثر السوط ونحوه: أخدود، وجمعه أخاديد.

نهاية عبد الله بن الثامر: **قال ابن إسحاق**: ويقال: كان فيمن قَتَلَ ذو نواس، عبدَ الله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عَمرو ابن حزم أنه حُدث: أن رجلا من أهلِ نجران كان في زمان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حفرَ خَرِبة من خَرِب نجران لبعض حاجته، فوجدوا عبدَ الله بن الثامر تحت دَفْنٍ منها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه، مُمسكا عليها بيده، فإن أخِّرت يدَه عنها تنبعث دما، وإذا أرسلت يده ردَّها عليها، فأمسكت دمَها، وفي يده خاتم مكتوب فيه:" ربي الله " فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبر بأمره فكتب إليهم عمرُ رضي الله عنه: أن أقروه على حاله وردوا عليه الدَّفْن الذي كان عليه، ففعلوا[xvi].

فرار دوس ذي ثعلبان من ذي نواس واستنجاده بقيصر

قال ابن إسحاق: وأفلت منهم رجل من سبأ. يقال له دَوْس[xvii] ذو ثَعْلبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر[xviii] ملك الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بعدت بلادك منا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره.

النجاشي ينصر دوسا: فقدم دوسٌ على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمَّر عليهم رجلا منهم يقال له: أرياط - ومعه في جنده أبرهة الأشرم - فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دَوْس ذو ثَعْلبان.

نهاية ذي نواس: وسار إليه ذو نُواس في حِمْير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه، وجه فرسه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضَحْضَاح[xix] البحر، حتى أفضى به إلى غَمْرِه[xx]، فأدخله فيه، وكان آخر العهد به. ودخل أرياط اليمن، فملكها[xxi].

فقال رجل من أهل اليمن - وهو يـذكر مـا سـاق إليهـم دوس مـن أمر الحبشة:.

" لا كَدَوْس ولا كأعلاقَ رَحْله "[xxii]

قول ذي جدن الحميري فـي هـذه القصـة: وقـال ذو جـدن الحميري:

هونكِ[xxiii] ليس يردُّ الدمعَ ما فاتا لا تهلكي أسفاً في إثْر من ماتَا

أبعدَ بَيْنون لا عين ولا أثــرٌ وبعدَ سَلْحِين يبني الناسُ أبياتَا؟!

بينون وسلحين وغمدان: من حصون اليمـن الـتي هـدمها أريـاط، ولم يكن في الناس مثلُها. وقال ذو جدن أيضاً:

دعينى-لا أبا لكِ -لن تطيقـــي[xxiv] لحاكِ الله ! قد أنزفْتِ ريقـــي[xxv]
لَدَى عَزفِ القيانِ إذ انتشينـــا وإذْ نُسقى من الخمرِ الرحيــق[xxvi]
وشُرْبُ الخمر ليس عليَّ عاراً إذا لم يَشْكُني فيها رفيقي
فإن الموتَ لا ينهاه نـــــــاهٍ ولو شَرِبَ الشفاءَ مع النَّشـــوقِ[xxvii]
ولا مترهِّب في أسْطـــــــوان يناطحُ جُدره بَيض الأنوق[xxviii]
وغُمْدان[xxix] الذي حُدِّثت عنـــــه بنوه مُسَمَّكا في رأسِ نِيـــق[xxx]
بمَنْهَمَةٍ، وأسفلهُ جُـــــــــرون وحُر الموْحَلِ اللثق الزليق[xxxi]

مصابيح السَّليطِ تلوح فيه إذا يُمْسي كَتَوْماضِ البُروقِ[xxxii]
ونخلتُه التي غُرِستَ إليه يكاد البُسْرُ يَهْصِر بالعذوق[xxxiii]
فأصبح بعد جِدَّته رماداً وغيَّر حسنَه لهبُ الحريق
وأسلَمَ ذو نُواس مُسْتَكينا[xxxiv] وحــذَّر قــومَه ضَــنْك المضــيق

قول ربيعة ابن الذئبة الثقفي في هذه القصة: وقال عبد اللـه ابن الذئبة[xxxv] الثقفي في ذلك - **قال ابن هشام:** الذئبة أمه، واسـمه: ربيعة ابن عَبْد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِيّ.

لَعَمْرك ما للفتى من مقــر مع الموت يلحقه والكِبَر
لعَمرك ما للفتى صُحْــرة لعمرك ما إنْ له من وزَر[xxxvi]
أبعْدَ قبائلَ مِنْ حِمْيــــَر أبيدوا صباحاً بذات العَبَر[xxxvii]

بألفِ ألوفٍ وحُرَّابـة   كمثلِ السماء قُبَيْلِ المطر[xxxviii]
يُصِمُّ صياحُهم المقْربَات   وينفون من قاتلوا بالـــدّفرْ[xxxix]
سَعَالِىَ مثلُ عديد الترا   ب تَيْبس منهم رطابُ الشـــجرْ[xl]

قول عمرو بن معدى كرب الزبيـدى فـي هـذه القصـة: وقـال عمرو بن مَعْدي كرب الزُّبيْدي[xli] فـي شـيء كـان بينـه وبيـن قيـس بـن مكشوح المرَاديّ[xlii]، فبلغه أنه يتوعده، فقـال يـذكر حِمْيـر وعزهـا، ومـا زال من ملكها عنها:

أتوعِدني كأنك ذو رعيـــــــن   - بأفضل عِيشةٍ - أو ذو نُوَاس
وكائن كان قبلَك من نعيــــــمٍ   ومُلكٍ ثابتٍ في الناس راسي

قديمٍ عهده من عهد عــاد عظيم قاهر الجبروت قاســـى
فأمسى أهلُه بادوا، وأمسى يُحوَّل من أناسٍ في أنــاسِ

نسب زيد ومراد: **قال ابن هشام**: زُبَيْد بن سلمة بن مازن بن مُنَبِّه بن صعب بن سعد العشيرة بن مَذْحِج. ويقال: زُبيد بن منبِّه بن صعب بن سعد العشيرة، ويقال: زُبيد بن صعب بن سعد. ومراد: يُحابِر بن مُذْحج.

لماذا قال عمرو بن معدي كرب هذا الشعر: **قال ابن هشام**: وحدثنى أبو عبيدة قال: كتب عُمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى سلْمان بن ربيعة الباهلى[xliii]، وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس ابن عيلان. وهو بأرْمينية يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العِراب على أصحاب الخيل المقارف[xliv] في العطاء فعرض الخيل، فمر به فرس عمرو بن معدى كرب، فقال له سلمان: فرسك هذا مُقْرف، فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجيناً مثله، فوثب إليه قيس فتوعده، فقال عمرو هذه الأبيات.

تصديق قول شق وسطيح: **قال ابن هشام**: فهذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله: " ليهبطن أرْضَكُم الحبش، فليملُكُنَّ ما بين أبْيَن إلى جُرَشٍ " والذي عنى شق الكاهن بقوله: " لينزلن أرضكم السودان، فليغلُبن على كل طَفلة البنان وليملُكن ما بين أبْيَن إلى نجران ".

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق: فأقام أرْيَاط بـأرض اليمـن سـنين فـي سـلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة بـاليمن أبرهـة الحبشـي، حـتى تفرقـت الحبشة عليهما، فانحـاز إلـى كـل واحـد منهمـا طائفـة منهـم، ثـم سـار أحدُهما إلى الاخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهةُ إلـى أريـاطَ: إنـك لا تصنع بأن تلقي الحبشة بعضـها ببعـض، حـتى تفنيهـا شـيئاً، فـابرز إلـيَّ، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبَه انصرف إليه جندُه، فأرسل إليـه أريـاط: أنصفتَ ؛ فخرج إليه أبرهـة - وكـان رجلا قصـيراً لحيمـا، وكـان ذا ديـن النصرانية - وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا، وفـي يـده حربة له وخلف أبرهة غلام له، يقال لـه: عَتْـودَة[xlv]، يمنـع ظهـره، فرفـع أرياطُ الحربة، فضرب أبرهة يريد يأفوخه، فـوقعت الحربـة علـى جبهـة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينـه وشـفتهxlvi، فبـذلك سُـمى: أبرهـة الأشرم، وحمل عَتْوَدة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جندُ أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وَوَدَى[xlvii] أبرهةُ أرياطَ.

غضب النجاشي على أبرهة: فلما بلغ النجاشي غضب غضباً شديداً وقال: عدا على أميري فقتله بغير أمري، ثم حلف: لا يدع أبرهـة حتى يطأ بلاده، ويجز ناصيته. فحلق أبرهة رأسَه وملأ جراباً من تـراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشي، ثم كتب إليه:

" أيها الملك، إنمـا كـان أرْيـاطُ عبـدَك، وأنـا عبـدُك، فاختلفنـا فـي أمرِك،

وكل طاعتُه لك، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لهـا، وأسوس منه، وقد حلقت رأسي كله حين بلغنـى قسـم الملـك، وبعثـت إليه بجراب تراب من أرض، ليضعه تحت قدميه، فيبرّ قسمَه فيَّ ".

فلما انتهى ذلك إلى النجاشـي رضـي عنـه، وكتـب إليـه: أن اثبـت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري، فأقام أبرهة باليمن.

" القليس " أو كنيسة أبرهة: ثـم إن أبرهـة بنـى القُلَّيْـسَ[xlviii] بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُر مثلُها في زمانها بشىء من الأرض، ثم كتـب إلى النجاشي: أنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسةً لـم يُبْـنَ مثلُهـا لملـك كان قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرفَ إليهـا حـج العـرب، فلمـا تحـدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجـل مـن النَّسـأة، أحـد بني فُقَيْم بن عديّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانـة بـن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر.

النسأة: والنسأة: الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرمون مكانَه الشهرَ من أشهرِ الحل، ليواطئوا عدةَ ما حرَّم الله. ويؤخرون ذلك الشهر، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى: **{**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ**}** [التوبة:37]

قال ابن هشام: ليوافقوا، والمواطأة: الموافقة، تقول العرب: واطأتُك على هذا الأمر، أي وافقتك عليه، والإيطاء في الشعر: الموافقة، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد، نحو قول العَجّاج - واسم العَجاج[xlix]: عبد الله بن رُؤبة أحد بني سعد بن زيد مَناة بن تميم ابن مُر بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار -:

في أثْعبان المَنْجَنون المرسَل[l]

ثم قال:

مدّ الخليجِ في الخليجِ[li] المرْسَل

وهذان البيتان في أرجوزة له.

أول من ابتدع النسيء: **قال ابن إسحاق**: وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلت منها ما أحلّ، وحرمت منها ما حرم القَلمس[lii]، وهو حُذَيفة بن عبد بن فُقَيْم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد

ابن حذيفة، ثم قام بعد عباد: قَلَع بن عبَّاد، ثم قام بعد قَلَع: أمية بن قلع، ثم قام بعد أمية: عَوف بن أمية، ثم قام بعد عَوْف: أبو ثُمامة، جُنَادة بن. عَوْف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام[liii]، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرم. الأشهر الحرم الأربعة: رجبا، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم. فإذا أراد أن يحل شيئاً أحلَّ المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرَّموه ؛ ليواطئوا عدَّةَ الأربعة الأشهر الحُرُم. فإذا أرادوا الصَّدَر[liv] قام فيهم فقال: " اللهم إني قد أجللت لك أحد الصَّفرَيْن، الصفر الأول، ونسأت الآخرَ للعام المقبل[lv] " فقال في ذلك عُمَيْر بن قَيْس، جِذْل الطِّعان[lvi]، أحدُ بنى فراس بن غَنْم بن ثعلبة بن بالك بن كنانة، يفخر بالنَّسأة على العرب:

لقد علمتْ مَعَد أن قومـــي كرامُ الناسِ أنّ لهم كِرَامَـــا[lvii]
فأيّ الناسِ فاتونا بوِتـــْـر وأيّ الناسِ لم نُعْلِكْ لجاما[lviii]
ألسْنا النَّاسئين على مَعـــد شهورَ الحِلِّ نجعلها حَرامـــا؟

قال ابن هشام: أول الأشهر الحرم: المحرَّم.[lix]

الكناني يحدث في القليس: **قال ابن إسحاق**: فخرج الكنانيُّ حتى أتى القلَّيْس فقعد[lx] فيها -

قال ابن هشام: يعني أحدث فيها -

قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال:. من صنع هذا ؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العربُ إليه بمكة لما سمع قولك: "أصرف إليها حج العرب " غضب فجاء، فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهْل.

خروج أبرهة لهدم الكعبة: فغضب عند ذلك أبرهة وحلف: ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمَه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهَّزت، ثم سار

وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فـأعظموه وفَظِعـوا بـه، ورأوا جهاده حقا عليهم، حين سمعوا بأنه يريـد هـدم الكعبـة، بيـت اللـه الحرام.

أشراف اليمن يدافعون عن الـبيت: فخـرج إليـه رجـل مـن أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نَفْر، فدعا قومه، ومـن أجـابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيـت اللـه الحـرام، ومـا يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فَهُزم ذو نَفْر وأصحابه، وأخذ له ذو نَفْر، فأتى به أسيراً، فلما أراد قتلـه، قال له ذو نَفْر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكـون بقـائى معـك خيراً لك من قتلي، فتركه من القتـل، وحبسـه عنـده فـي وثـاق، وكـان أبرهة رجلا حليماً.

خثعم تجاهد أبرهة: ثم مضى أبرهة على وجهه ذلـك يريـد مـا خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم[lxi] عَرَض له نُفَيْل بن حـبيب الخَثْعمـي في قَبيلَيْ خَثْعَم: شَهْران ونَاهِس[lxii]، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نُفَيْل أسيراً، فـأتى بـه، فلمـا هـمَّ بقتلـه قـال لـه نُفَيْل: أيها الملك، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لـك على قبيلى خَثْعم: شَهْران وناهس بالسمع والطاعة، فخلى سبيلَه.

وخرج به معه يدلُّه، حتى إذا مـرّ بالطـائف خـرج إليـه مسـعود بـن مُعَتِّب ابن مالك بن كعب بن عَمرو بن. سعد بـن عَـوْف بـن ثقيـف فـي رجال ثقيف.

نسب ثقيف[lxiii]: واسم ثَقِيـف: قَسِـيُّ بـنُ النَّـبيت بـن منبـه بـن منصور

ابن يَقْدُم بن أفْصَى بن دُعْمـىّ بـن إيـاد[lxiv] بـن نـزار بـن معـدّ بـن عدنان.

قال أمية بن أبى الصَّلْت الثقفي[lxv]:

قومى إياد لو أنهمْ أمَــم أو: لو أقاموا فتُهْزَل النَّعَمُ[lxvi]
قوم لهم ساحةُ العراقِ إذا ساروا جميعاً والقطّ والقَلم[lxvii]

وقال أمية بن أبى الصَّلْت أيضاً:

فإمَّا تَسْألي عني – لُبَيْنَي وعن نسبي - أخَبِّرْك اليقينا
فإنا للنَّبيتِ أبي قَســـــِي لمنصورِ بنِ يَقْدُمَ الاقدمينا

قال ابن هشام: ثقيف: قَسِىُّ بن مُنبه بـن بكـر بـن هَـوازن بـن منصور ابن عِكرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بـن نـزار بـن معد بن عدنان، والبيتان الأوَّلان والآخران في قصيدتين لأمية.

ثقيف تهـادن أبرهـة: قـال ابـن إسـحاق، فقـالوا لـه: أيهـا الملك، إنما نحن عبيدُك سامعون لك مطيعون، ليس عنـدنا لـك خلاف، وليس

بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنـون اللات - إنمـا نريـد الـبيت الـذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم.

اللات: واللات: بيت لهـم بالطـائف كـانوا يعظمـونه نحـو تعظيـم الكعبة.

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيـدة النحـوي لضـرار بـن الخطـاب الفِهْرِي:

وفَوَّت ثقيف إلى لاتِها بمُنْقَلَب الخائبِ الخاسِر

وهذا البيت في أبيات له.

أبو رغال ورجم قبره: **قال ابـن إسـحاق**: فبعثـوا معـه أبـا رغال يدلّه على الطريق إلى مكة فخـرج أبرهـة ومعـه أبـو رغـال حـتى أنزله المُغَمِّس[lxviii]، فلما أنزله به مات أبو رغـال هنـاك، فرجمـت قـبرَه العربُ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمِّس.

الأسْود بن مقصود يهاجم مكة: فلما نزل أبرهة المغَمَّس، بعث رجلا من الحبشة يقال له: الأسْوَد بن مقصود[lxix] على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموالَ تِهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى مكة: وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة، وقال له: سَلْ عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يُرِدْ حربي فأتني به ؛ فلما دخل حُناطة مكة، سال عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم، فجاءه. فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم – عليه السلام – أو كما قال – فإن يمنعه منه، فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا دَفْع عنه. فقال له حُناطة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

أنيس يشفع لعبد المطلب: فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفر، وكان له صديقا، حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نَفْر هل عندك من غَناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نَفْر: وما غَناء رجل أسير بيدَيْ ملك ينتظر أن يقتله

غُدوّاً أو عشياً ؟! ما عندنا غَناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أتَيْسا سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعْظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما بدا لك، ويشبع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي. فبعث ذو نَفْر إلى أتَيْس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عِير مكة، يطعم الناس بالسَّهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلّم أنَيْس أبرهةَ، فقال له: أيها الملك: هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يُطعم الناس في السهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأذنْ له عليك فيكلمْك في حاجته، قال: فأذن له أبرهة.

الإبل لي والبيت له رب يحميه: قال: وكان عبد المطلب أوسمَ[lxx] الناسِ وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحتَه، وكره أن تراه الحبشةُ يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهةُ عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان. فقال:

حاجتي أن يرد عليَّ الملك مائتى بعير أصابها لي، فلما قال به ذلك، قال أبرهةُ لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتُك، ثم زهدتُ فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتُها لك، وتترك بيتاً هو دينُك ودينُ آبائك قد جئتُ لهدمه، لا تكلمني فيه ؟! قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربّاً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك.

الوفد المرافق لعبد المطلب: وكان - فيما يزعمُ بعضُ أهل العلم - قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حُناطة، يَعْمَر بنُ نُفاثة بن عدي بن الدُّئل بن بكر بن مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيد بني بكر - وخُوَيلد بن واثلة الهذلي - وهو يومئذ سيد هذيل - فعرضوا على أبرهة ثلثَ أموالِ تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلمَ أكان ذلك، أم لا. فردَّ أبرهةُ على عبد المطلب الإِبلَ التي أصاب له.

قريش تستنصر الله على أبرهة: فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطلب الى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرُّز[lxxi] في شَعَفِ الجبال[lxxii] والشِّعاب[lxxiii] تخوفا عليهم من مَعَرَّة[lxxiv] الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلْقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنـدِه، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهُمَّ إن العبدَ يمنـــــــعُ رحلَه فامنعْ حلالَكْ[lxxv]
لا يَغْلِبَنَّ صليبُهـــــــــم ومِحَالُهم غَدْواً مِحَالَكْ[lxxvi]
إن كنتَ تاركَهم وقِبــــلتنا فأمْر مَا بَدَا لَكْ[lxxvii]

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها.

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود: **قـال ابـنُ إسـحاق**:

وقال عِكْرمة بنُ عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَي:

لاهُمَّ أخزِ الأسوَدَ بنَ مقصودْ الآخذَ الهجْمةَ فيها التقليـــــد[lxxviii]
بينَ حِراءَ وثبير فالْبِيــدْ يَحْبِسها وهي أولاتُ التّطْريدْ[lxxix]
فضَمَّها إلى طماطِمٍ ســودْ أخْفِرْه يا ربِّ وأنت محمـــود[lxxx]

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها، والطماطم: الأعلاج[lxxxi].

قال ابن إسحاق. ثم أرسل عبد المطلب حلقة بـ اب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرَّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

أبرهة يهاجم الكعبة: فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهيأ فيلَه، وعبَّى[lxxxii] جيشَه - وكان اسمُ الفيل محموداً - وأبرهة مُجْمِع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة، أقبل نُفَيل بن حبيب[lxxxiii] حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذه بأذنه، فقال: ابركْ[lxxxiv] محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه. فبرك الفيل، وخرج نُفَيْل بن حبيب يشتد حتى أصْعَد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطَّبَرْزين[lxxxv] ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجَن[lxxxvi] لهم في مَرَاقّه[lxxxvii] فبزغوه[lxxxviii] بها ليقوم فأبى،

فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

عقاب الله لأبرهة وجنده: فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبَلَسان[lxxxix]: مع كل طـائر منهـا ثلاثـة أحجـار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعَدَس[xc] لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، - وليس كلهـم أصـابت - وخرجـوا هـاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسالون عن نُفَيْل بن حَبيب، ليـدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفَيل حيـن رأى مـا أنـزل اللـه بهـم مـن نقمته:

أين المفرُّ والإِلهُ الطالبُ والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالب

قال ابن هشام: قوله: " ليس الغالب " عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال نفيل أيضاً:

ألا حُيِّيتِ عنا يا رُدَيْنَـا نعمناكم مع الإِصباحِ عينَا[xci]

رُدَيْنةُ لو رأيتِ - ولا ترَيْه لذي جَنْب المُحصَّبِ ما رأينا

إذاً لعذرتِني وحمدْتِ أمري ولم تأسَيْ على ما فات بَيْنا[xcii]

حَمِدْت الله إذ أبصرتُ طيراً وخِفْتُ حجارةً تُلْقَى علينا
وكلّ القوم يسأل عن نُفَيل كأن عَلَي للحُبْشانِ دَيْنَا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلِكون بكلِّ مَهْلِك على كل مَنْهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنْملة أنْملة[xciii]: كلما سقطت أنْملة، آتبعتها منه مده تَمُثُّ[xciv] قَيحاً ودماً، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فَرْخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدرهُ عن قلبه، فيما يزعُمون.

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عُتبة أنه حُدِّث: أن أولَ ما رُؤيت الحصبةُ والجُدَرِي بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُؤي بها مرائر الشجر[xcv]: الحرمل والحنظل والعُشَر[xcvi] ذلك العام.

الله - جل جلاله - يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش:

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: **{** أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ **}** [الفيل:1ـ5] وقال: **{**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا

الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} [قريش:1ـ4]أي لئلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه. **تفسير مفردات سورتي الفيل وقريش**: **قال ابن، هشام**: الأبابيل الجماعات، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه[xcvii] وأما السِّجِّيل، فأخبرني يونس النحوي وأبو عُبَيْدة أنه عند العرب: الشديد الصلب، قال رُؤبة بن العَجَّاج:

ومسَّهم ما مسَّ أصحابَ الفيلْ ترميهمُ حجارة من سِجِّيلْ

ولعبتْ طير بهم أبابيل

وهذه الأبيات في أرجوزة له.

ذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية، جعلتهما العرب كلمة واحدة، وإنما هو سَنْج وجِلّ يعني بالسنج: الحجر، وبالجل: الطين، يعنى الحجارة من هذين الجنسين: الحجر والطين. والعَصْف: ورق الزرع الذي لم يُقَصَّب، وواحدته عَصْفَة. قال: وأخبرنى أبو عُبَيدة النحوي أنه يقال له العُصافة والعَصيفة. وأنشدنى لعَلْقَمة بن عَبَدَة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم:

تَسقى مَذانبَ قد مالت عَصيفتُها حَدُورُها من أتِيِّ الماءِ مَطْمومُ[xcviii]

وهذا البيت في قصيدة له. وقال الراجز:

فَصُيِّروا مثلَ كعصْف مأكول

قال ابن هشام: ولهذا البيت تفسير في النحو[xcix].

وإيلاف قريشٍ: إلفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم، وكانت لهم خَرْجتان: خَرْجة في الشتاء، وخَرْجة في الصيف. أخبرنى أبو زيد الأنصاري: أن العرب تقول: ألفت الشىء إلْفا، وآلفته إيلافا، معنى واحد: وأنشدني لذي الرُّمَّة:

من المؤْلِفات الرملَ أدماءُ حُرَّة شُعاعُ الضُّحَى في لونِها يتوصَّحُ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال مطرود بن كعب الخُزاعى:

المُنْعَمين إذا النجومُ تغيَّرت والظاعنين لرحلةِ الإيلاف

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى. والإيلاف أيضاً: أن يكون للإنسان ألف من الإبل ؛ أو البقر، أو الغنم، أو غير ذلك. يقال: آلف فلان إيلافا. قال الكُمَيْت بن زيد، أحد بنى أسد ابن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ:

بعامِ يقول له المؤْلِفو   نَ هذا المُعيم لنا المُرْجِـــــلُ[ci]

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً: أن يصير القوم ألفــا، يقــال: آلف القوم إيلافا. قال الكُمَيْت بن زيد:

وآل مُزيْقياء غَدَاةَ لاقَوْا   بني سَعْدِ بْنِ ضَبةَ مُؤْلفينـــا

وهذا البيت في قصيدة له. والإيلاف أيضاً: أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه، يقال: ألفته إياه إيلافا. والإيلاف أيضاً: أن تصـيِّر مـا دون الألف ألفاً، يقال: ألفته إيلافا.

مصير قائد الفيل وسائسه: **قال ابنُ إسحاق**: حدثني عبــد الله ابن أبى بكر، عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سـعد بـن زُرارة، عـن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " لقد رأيت قائد الفيل وسائسَه بمكة أعميين مُقعَدَيْن يستطعمان الناس ".

ما قيل في قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق: فلما رد الله الحبشة عن مكـة، وأصـابهم بمـا أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشا، وقـالوا: هـم أهـل اللـه، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونةَ عدوِّهم، فقالوا في ذلك أشعاراً يـذكرون فيها ما صنع الله بالحبشةِ، وما ردَّ عن قريش من كيدِهم.

شعر عبد الله بن الزِّبَعْرَى: فقـال عبـدالله بـن الزِّبَعْـرَى بـن عدي بن

قيس بن عدى بن سعيد[ciii] بن سهم بن عَمرو بن هُصَيْص بـن كعـب بن لُؤى بن غالب بن فِهْر:

تنكَّلوا عن بطنِ مكةَ إنهـــا كانت قديما لا يُرامُ حريمُها
لم تخلق الشعْرَى لَيَاليَ حُرِّمَتْ[civ] إذ لا عزيــزَ مــن الأنــامِ يرومُها
سائلْ أميرَ الجيشِ عنها ما رأى ولسوفَ يُنْبِي الجاهلين عليمُها
ستونَ ألفا لم يَئُوبوا أرضَهـم ولم يعش بعدَ الإياب سقيمُها
كانت بها عادٌ وجُرْهم قبلَهـم والله من فوقِ العبادِ يقيمُها

قال ابنُ إسحاق: يعني ابن الزِّبَعْرَى بقوله:

..... بعد الإيابِ سقيمُها[cv]

أبرهة، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

شعر ابن الأسْلَت: وقال أبـو قَيْـس بـن الأسْـلَت الأنصـاري ثـم الْخَطميّ، واسمه: صَيْفي **قال ابـن هشـام**: أبـو قيـس: صَـيْفيُّ بـنُ الأسْلَت

ابن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس بن عامر بن مُرة بن مالك بـــن الأوس:

ومن صُنْعِه يومَ فيل الحبُـــو   شِ إذ كلما بعثوه رَزَمْ[cv]
محاجنُهم تحتَ أَقرابِــــه   وقد شَرَّموا أنفَه فـــــــــــانخرَمْ[cvi]
وقد جعلوا سَوْطَه مِغْـــوَلاً   إذا يمَّمُوهُ قَفاه كُلِمْ[cvii]
فولّى وأدبرَ أدراجَــــــه   وقد باءَ بالظلم من كان ثَمْ
فأرسلَ من فوقِهم حاصبـــاً   فلفَّهُمُ مثلَ لفِّ القُزُمْ[cviii]
تحُضُّ على الصبرِ أحبارُهم   وقد ثأَجُوا كثُؤَاجِ الغَنَمْ[cix]

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له. والقصيدة أيضاً تروى لأمية بن أبى الصَّلْت[cx].

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلت:

فقوموا فصلُّوا ربَّكم، وتمسَّحُوا   بأركان هذا البيتِ بينَ الأخاشبِ[cxi]
#فعندكمُ منه بلاء مُصَـــدَّق   غَدَاةَ أَبى يَكْسُومَ هادى الكتائبِ
كتيبتُه بالسهلِ تُمْسى وَرَجْلُه   على القاذفاتِ في رءوس المناقبِ[cxii]

فلما أتاكم نصرُ ذي العرش ردَّهمْ جنودُ المليكِ بينَ سافٍ وحاصبِ[cxiii]

فولَّوْا سراعا هاربين ولم يــؤبْ إلى أهْلِه مِلْحِبْش غيرُ عصائبِ[cxiv]

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله:

على القاذفاتِ في رءوسِ المناقبِ

وهذه الأبيات في قصيدة لأبـى قيـس، سـأذكرها فـي موضـعها إن شاء الله. وقوله: " غداةَ أبـى يَكْسـوم " يعنـي: أبرهـة، كـان يُكْنَـى أبـا يكسوم.

شعر طالب بـن أبـي طـالب: **قـال ابـن إسـحاق**: وقـال طالب[cxv] بن أبى طالب بن عبد المطلب:

ألم تعلموا ما كان في حربِ داحس وجيش أبي يَكْسُومَ إذ مَلئوا الشِّعْبا[cxvi]

فلولا دفاعُ الله لا شيءَ غيــرُه لأصبحتمْ لا تَمنعون لكم سَرَبا[cxvii]

قال ابن هشام. وهذان البيتان في قصـيدة لـه فـي يـوم بـدر، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى.

شعر أبي الصلت الثقفـي: **قـال ابـن إسـحاق**: وقـال أبـو الصَّلْت[cxviii] ابن أبى ربيعة الثَّقفي في شأن الفيل، ويـذكر الحنيفيَّـة ديـنَ إبراهيم عليه السلام.

قال ابن هشام: تـروى لأميـة بـن أبـي الصـلت بـن أبـي ربيعـة الثقفي:

إن آياتِ ربِّنا ثَاقبـــات لا يُمارِي فيهن إلا الكفورُ
خلقَ الليلَ والنهارَ فكــل مستبين حسابُه مقدورُ
ثم يجلو النهارَ ربٌّ رحيـم بمَهاةٍ شُعاعُها منشورُ[cxix]
حُبِس الفيلُ بالمُغمَّس، حتى ظلَّ يحبو كأنه معقورُ
لازماً حَلْقةَ الجِرانِ كما قُطـ ـر من صخر كَبْكَب محـــدور[cxx]
حوله من ملوك كِندةَ أبطا ل ملاوِيث في الحروبِ صُـــقور
خَلَّفوه ثم ابذعَرُّوا جميعـاً كلهم عظمُ ساقِه مكســورُ[cxxi]
كلُّ دينٍ يومَ القيامةِ عندَ اللـ ـه إلا دين الحنيفةِ بورُ[cxxii]

شعر الفرزدق: **قال ابن هشام**: وقال الفـرزدق - واسـمه همّـام ابن غالب أحد بنى مُجَاشع بن دَارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم - يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجـو الحجـاجَ ابن يوسف، ويذكر الفيلَ وجيشه:

فلما طغى الحجاجُ حين طغى به غِنى قال: إني مُرْتق في الســـلالم[cxxiii]

[i] وقال فيه ابن دريد: لخنيعة وقال: هو من اللَّخع ، وهو استرخاء في الجسم.

[ii] الشناتر: الأصابع بلغة حمير، واحدها: شُنْتُرة.

[iii] وذو نواس اسمه: زُرْعَه ، وهو من قولهم للغلام: زرعك الله ، أي أنبتك. وسُمي ذا نواس بغديرتين كانتا له تَنُوسان ، أي ضفيرتان من شعر، والنَّوسُ: الحركة والاضطراب فيما كان متعلقاً.

[iv] وجأه: ضربه.

[v] أرطب أم يباس ، واليباس واليبيس: مثل الكبار والكبير.

[vi] فقال لهم: سل نحماس ، والنحماس في لغتهم هو الرأس كما ذكر، ووقع في نسخة أبي بحر التي قيدها علي أبو الوليد الوقشي: نخماس بنون وخاء منقوطة، ولعل هذا هو الصحيح إذ يحتمل أن يكون النخماس في لغتهم هو: الرأس ، ثم صحف وقيده كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق وبالحاء المهملة.

[vii] استرطُبان إلى آخر الكلام: مشكل يفسره ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني قال: كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة، وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها: وصاحوا به: أرطب أم يباس ، فلما خرج ذو نواس من عنده ، وركب ناقة له يقال لها: السراب؛ قالوا: ذا نواس أرطب أم يباس ، فقال: " ستعلم الأحراس استَ ذى نواس است رطبان أم يباس " فهذا اللفظ مفهوم. والذي وقع في الأصل هذا معناه ، ولفظه قريب من هذا، ولعله تغيير في اللفظ - والله أعلم -.

[viii] قال الطبري فيه: قيمئون بالقاف ، وشك فيه ، وقال القتبي فيه: رجل من آل جفنة من غسان جاءهم من الشام ، فحملهم على دين عيسى - عليه السلام - ولم يسمه. وقال فيه النقاش اسمه يحمى، وكان أبوه ملكا فتوفي ، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه ، ففر من الملك ، ولزم السياحة. وقال عنه السهيلى في الروض الأنف: فيمئون. وقال يحتمل أنهم سموه: يحيى، وهو الاسم الذي تقدم ذكره ، وما قاله النقاش والقتيبي.

[ix] الرءوس السبعة: أي القرون السبعة.

[x] انتشط الثوب: أي رفعه بسرعة.

[xi] ونجران اسم رجل كان أول من نزلها، فسُميت به ، وهو نجران بن زيد

بن يشجب بن يعرب بن قحطان؛ قاله البكري.

[xii] جعفتها: أي اسقطتها وذهبت بها.

[xiii] القداح: السهام.

[xiv] التفاضل بين أسماء الله الحسنى: وذكر فيه الاسم الأعظم ، وقول الراهب له: إنك لن تطيقه. أي: لن تطيق شروطه ، والانتهاض بما يجب من حقه ، وقد قيل في قول الله تعالى: {قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ الْكِتَابِ} [النمل:40]إنه أوتى الاسم الأعظم الذي إذا دُعى

الله به أجاب ، وهو: آصف بن برخيا في قول أكثرهم ، وقبل غير ذلك. وأعجب ما قيل فيه: إنه ضبة بن أد بن طابخة قال النقاش ، ولا يصح.

وهي مسألة اختلف فيها العلماء، فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى،وقالوا :لا يجوز أن يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الاخر، ومما احتجوا به: أن رسول الله - صلى - لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم ، وقد علمه من هو دونه من ليس

بنبي ؛ ولم يكن ليدعو حين اجتهد في الدعاء لأمته ألا يجعل بأسهم بينهم ، وهو رءوف بهم ، عزيز عليه عَنَتهُم إلا بالاسم الأعظم ، ليستجاب له فيه ، فلما مُنع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو كسائر الأسماء في الحكم والفضيلة، ليستجيب الله إذا دعي

ببعضها إن شاء، ويمنع إذا شاء، وقال الله سبحانه: {قُلْ ادْعُوا الله أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[الإسراء:110]

وظاهر هذا الكلام: التسوية بين أسمائه الحسنى. وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء إلى أنه ليس شئ من كلام الله تعالى أفضل من شئ ، لأنه كلام واحد من رب

واحد، فيستحيل التفاضل فيه. انظر هذا الموضوع مفصلا من " الروض الأنف " بتحقيقنا جـ1 ص 47 - 52.

[xv] روى ابن سنجر عن جُبَير بن نفيل قال: الذين خدوا الأخدود ثلاثة :تُبع صاحب اليمن ، وقسطنطين ابن هلاني - وهي أمه - حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب ، وبختنصر من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم في النار،

فكان برداً وسلاماً عليهم.

[xvi] يصدق ذلك قوله تعالى:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ} [آل عمران: 169] وما وُجد من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة،كحمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - فإنه وُجد حين حفر معاوية العين صحيحاً لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه ، فدميت: وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح. وطلحة بن عبيد الله ، استخرجته بنته عائشة من قبره حين أمرها في المنام بنقله فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير. وقد قال - عليه السلام – " إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ". خرجه سليمان بن الأشعث. وفي المسند هن طريق أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى - " الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم ". وفي الصحيح: أن رسول الله - صلى - قال: " مررت بموسى - عليه السلام - وهو يصلى في قبره - وحدثني من لا أشك في قوله أنه رأى الكثير من شهداء حرب فلسطين لم يتغيروا بعد السنين الطويلة.

[xvii] دوس: هو ابن تبع الذي قتله أخوه.

[xviii] قيصر: اسم علم لكل من ولي الروم وتفسيره بلسانهم: البقير الذي بقر في أمه عنه ، وكان أول من تسمى به بُقَيراً، فلما ملك وعرف به ، تسمى به كل من ملك بعده.

[xix] قوله الضحضاح من الماء: الذي يظهر قعره.

[xx] الغمر: الماء الكثير.

[xxi] هذا ما ذكره ابن إسحاق ، وهنا رواية أخرى: أن ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن ، حين رأى أنه لا قبل له بهم ، بعد أن استنفر جميع المَقَاوِل ، ليكونوا معه يداً واحدة عليهم ، فأبوا إلا أن يحمي كل واحد منهم حوزته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله ، على أن يسالموه ومن معه ، ولا يقتلوا أحداً، فكتبوا إلى النجاشي بذلك ، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم ، فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح ، وأمرهم أن يقبضوا ما في بلاده من خزائن أمواله ، ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه: أن اقتلوا كل ثور أسرد، فقُتلَ أكثر الحبشة، فلما بلغ ذلك النجاشي وجه جيشا إلي

أبرهة، وعليهم أرياط وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب ثلث بلاده ، ويقتل ثلث الرجال ، ويسبي ثلث النساء والذرية، ففعل ذلك أبرهة. واقتحم ذو نواس البحر، فهلك ، وقام بأمره من بعده ذو جدن ، واسمه :عَلَس بن الحارث أخو سبيع بن الحارث ، وأن ذا جدن حارب الحبشة بعد ذي نواس فكسروا جنده ، وغلبوه على أمره ، ففر إلى البحر كما فعل ذو نواس ، فهلك فيه ، واستبد أبرهة بنفسه فبلغ النجاشى، ولم يرسل إليه من جباية اليمن شيئاً، فوجه أرياطاً إلى خلعه.

[xxii] الأعلاق: النفا ئس.

[xxiii] هونكِ: ترفقى، وقد روى عن ابن اسحاق من غير رواية ابن هشام: هونكما لن يرد. وهو من باب قول العرب للواحد: افعلا. كما فعل امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

[xxiv] أي لن تطيقي صرفي بالعذل عن شأني.

[xxv] أي أيبست ريقي في فمي، وقلة الريق من الحصر، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش.

[xxvi] الرحيق: الخالص.

[xxvii] أي لو شرب كل دواء يستشفَى به ، وتنشَّق كل نشوق يجعل في الأنف للتداوي به ، ما نهى ذلك الموت عنه

[xxviii] ولا مُتَرَهبٌ : يجوز أن يكون رفعه عطفاً على (ناه): أي لا يرد الموت ناهٍ ، ولا مترهب. أي: دعاء مترهب يدعو لك ، ويجوز أن يكون مترهب رفعاً، على معنى: ولا ينجو منه مترهب.

والأسْطُوانُ: على وزن أفعوال. والنون أصلية؛ لأن جمعه: أساطين ، وليس في الكلام أفاعين ، والأسطوان جمع أسطوانة، وهي السارية ويقصد هنا المكان الذى يختلى فيه الراهب.

جُدره: جمع جدار، وهو مخفف من جدر، وفي التنزيل {أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ} [الحشر:14]هكذا تقيد بضم الجيم ، والجدار أيضا بفتح الجيم: الحائط ، ولكن الرواية في الكتاب كما ذكرنا.

والأنوق: الذكر من الرخم وهو لا يبيض ، وهذا أشبه بالمعنى؛ لأن الذكر لا يبيض، فمن أراد بيض الأنوق ، فقد أراد المُحال.

[xxix] غُمدان: هو الحصن الذي كان لهوذة بن علي ملك اليمامة

[xxx] مسمَّكا: مرفعاً. من قوله سمك السماء، والنيق: أعلى الجبل.

[xxxi] بِمَنْهَمَة: هو موضع الرهبان. والراهب يقال له: التَّهامِيّ ويقال للنجار أيضاً: نهامي ، فتكون المنهمة أيضاً على هذا موضع نجر.

وأسفله جُرون: جمع جَرون ، وهو النقير من جرن الثوب: إذ لان. ورواية أبي الوليد الوَقشِي: جروب بالباء، وكذلك ذكره الطبري بالباء أيضاً. وفي حاشية كتاب الوقشي: الجروب: حجارة سرد. فإن صح هذا في اللغة وإلا فالجُروب: جمع جريب على حذف الياء من جريب ، فقد يجمع الاسم على حذف الزوائد، كما جمعوا صاحباً على أصحاب.

وحر: الخالص من كل شيء.

والموحل: بفتح الحاء وفسر المرجل ، بالحجارة المُلس لينة، والذي أذب إليه أن الموجل ههنا واحد المواجل ، وهى مناهل الماء، وفتحت الجيم ، لأن الأصل: مأجل ، كذلك قال أبو عُبيد هى: المآجل ، وواحدها: مأجل.

واللثق من اللثق هو أن يخلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق ، والزليق الذي يزلق فيه.

انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ1 ص 58.

[xxxii] السليط: الدهن.

[xxxiii] يهصر: يميل. العذوق: جمع عذق بفتح العين وهي النخلة.

[xxxiv] وأسلم ذو نواس مستكينا. أي: خاضعا ذليلا.

[xxxv] واسمه: ربيعة بن عبد ياليل.

[xxxvi] الصُّحرة: المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء. والوزر: الملجأ، ومنه اشتق الوزير لأن الملك يلجأ إلى رأيه. وقد قيل من الوزر ، لأنه يحمل عن الملك أثقالا، لأن الوزر: الثقل.

[xxxvii] ذات العَبَر: أي ذات الحزن ، يقال: عَبَر الرجل إذا حزن ، ويقال: لأمه العبر، كما يقال: لأمه الثُّكل.

[xxxviii] الحُرَّابة: ذوو الحراب. وتوله كمثل السماء أي كسحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطهر.

[xxxix] المقربات. الخيل العتاق التي لا تسرح في المراعي ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو. والدفر: الرائحة الشديدة، أي ينفون من قاتلوا بريحهم وأنفاسهم ، وهذا إفراط في وصفهم بالكثرة وقيل غير ذلك. انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ا ص 60.

[xl] سعالِيَ: الجن ، والمفرد سِعلاة ويقال: بل هي الساحرة من الجن.

[xli] عمرو بن معدي كرب - رضى الله عنه - صحابي ، يكنى: أبا ثور تُضرب الأمثال بفروسيته وبسالته. ومعدي كرب بالحميرية: وجه الفَلّاح ، المعدي هو: الوجه بلغتهم ، والكرب هو: الفلاح.

[xlii] قيس بن مكشوح المرادي ، إنما هو حليف لها، واسم مراد: يحابر بن سعد للعشيرة بن مذحج ، ونسبُه في بجيلة ثم في بني أحمس ، وأبوه مكشوح اسمه: هبيرة بن هلال. ويقال: عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار، وأنمار هو: والد بجيلة وخثعم ، وسُمي أبوه مكشوحا، لأنه ضُرب بسيف على كَشْحه " وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف "، ويكنى قيس: أبا شداد،وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب هو وذَادَوَيه وفيروز، وكان قيس بطلا شجاعاً، - قُتل مع على - رضى الله عنه - يوم صفين ، وله في ذلك اليوم مواقف لم يُسمع بمثلها، وكذلك له في حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد.

[xliii] ونسبه إلى باهلة بن أعصَر، وكذلك هو عند أهل النسب: باهلي ، ثم أحد بني قُتيبة بن مَنن ، وباهلة: أمهم وهي بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج ، وأبوهم يعصُر وهو:منبه بن سعد بن قيس بن عيلان ، ويقال له: أعصر ويعصر.

[xliv] المقارف: جمع مقرف الذي دانى الهجنة، وهو الذي أمه عربية وأبوه ليس بعربي فالإقراف من جهة الأب والهجنة من جهة الأم. انظر ذلك مفصلا في الصحاح للجوهري مادة قرف.

[xlv] العتودة: الشدة في الحرب.

[xlvi] شرم أنفه وشفته أي: شقهما.

[xlvii] وداه: تحمل ديته.

[xlviii] وهي الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا

الاسم لإرتفاع بنائها وعلوها، ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس ، ويقال: تقلنس الرجل إذا لبس القلنسوة، وقلس طعاماً أي: ارتفع من معدته إلى فيه ، وكان أبرهة قد استذل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعاً من السخر، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذب من قصر بلقيس صاحبة سليمان - عليه السلام - وكان من موضع الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار مُلكها، وكان أراد أن يرفع في بنائها حتى يَشرُف منها على عدن ، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس. وكان حكمه في العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ في عمله أن يقطع يده ، فنام رجل منهم ذات يوم ، حتى طلعت الشمس ، فجاءت معه أمه ، وهي امرأة عجوز، فتضرعت إليه تستشفع لابنها، فأبى إلا أن يقطع يده ، فقالت: اضرب بمعولك اليوم ، فاليوم لك ، وغداً لغيرك. انظر قصة هذه الكنيسة مفصلة في الروض الأنف بتحقيقنا جـ1 ص 63.

xlix وكنيته: أبو الشعثاء وسُمي العجاج بقوله:

#* حتى يعج عندها من عججا

l الأثعبان: ما يندفع من الماء من مثعبه ، والمثعب: المجرى. والمنجنون: أداة السانية - الدلو العظيمة وأداتها - والميم في المنجنون أصلية في قول سيبويه ، وكذلك النون ، لأنه يقال فيه: منجنين مثل عرطليل - الضخم - وقد ذكر سيبويه أيضا في موضع آخر من كتابه أن النون زائدة، وقيل مَنْحَنون بالحاء. والمنجنون: الدولاب التي يستقى عليها.

li مد الخليج: الخليج: الجبل ، والخليج أيضاً: خليج الماء.

lii وسمي القلمس لجوده ة إذ أنه من أسماء البحر.

liii وجد السهيلي خبراً عن إسلام أبي ثمامة فقد حضر الحج في زمن عمر، فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى: أيها الناس ، إني قد أجرته منكم فخفقه عمر بالدرة وقال: ويحك ، إن الله أبطل أمر الجاهلية.

liv الصدر هنا: الرجوع من الحج.

lv وذكر أبو على القالي في الأمالي: أن الذي نسأ الشهور منهم: نُعَيْم بن ثعلبة، وليس هذا بمعروف ، وأما نَسَؤُهُم للشهر، فكان على ضربين. أحدهما: ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إِ إلى صفر لحاجتهم

إلى شن الغارات وطلب الثارات. والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تحرياً منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً أو أكثر قليلا، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع: " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمواتِ والأرض " وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته ، ولم يحج رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم - من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولطوافهم بالبيت عراة - والله أعلم - إذ كانت مكة بحكمهم ، حتى فتحها الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم-

lvi وكان عُمير من أطول الناس ، وسمي جذل الطعان لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف ، وقيل: لأنه كان يُستَشفَى برأيه ، ويُسْتَراح إليه ، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل " وهو عود ينصب للبُهم الجرباء لتحتك به ".

lvii أي: آباءً كراماً وأخلاقاً كراماً.

lviii أي: لم نقدعهم ونكفهم ، كما يقدع الفرس باللجام. تقول: أعلكت الفرس لجامه: إذا رددته عن تنزعه ، فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه ، فهو مقدوع.

lix وقال غير ابن هشام: إن أولها ذو القعدة لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدأ به حين ذكر الأشهر الحُرم ، ومن قال المحرم أولها، احتج بأنه أول السنة. وتظهر فائدة هذا الخلاف فيمن نذر صيام الأشهر الحرم. فيقال له على الأول: ابدأ بالمحرم ، ثم رجب ، ثم ذي القعدة، وذي الحجة. وعلى القول الآخر: يبدأ بذي القعدة حتى يكون آخر صيامه في رجب من العام الثاني.

lx قعد: أي أحدث فيها - وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهي عنه.

lxi خثعم: اسم جبل سمي به بنو عِفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار، لأنهم نزلوا عنده ، وقيل: إنهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أي تلطخوا.

lxii يقال إن خثعم ثلاث: شهران وناهس وأكلب غير أن أكلب عند أهل النسب هو: ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا في خثعم ، وانتسبوا إليهم.

lxiii اختلف النسابون في نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى إياد، والبعض إلى

قيس وقد نسبوهم إلى ثمود أيضا. وفي حديث رواه معمر بن راشد في جامعه: " أن أبا رغال من ثمود ". انظر الروض الأنف من تحقيقنا جـ ا ص 66، 67.

lxiv إياد: في اللغة التراب الذي يضم إلى الخباء ليقيه من السيل ونحوه ، وهو مأخوذ من الأيد وهي القوة، لأن فيه قوة للخباء، وهو بين النّؤي والخباء، والنؤي يشتق من النائي ، لأنه حفير ينأى به المطر، أي يبعد عن الخباء.

lxv واسم أبي الصلت: ربيعة بن وهب.

lxvi الأمم: القريب. أو لو أقاموا: أي بالحجاز لأنهم انتقلوا عنها حين ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق.

lxvii القط: ما قُط من الكاغد والرق - الكاغد: القرطاس ، والرق: جلد رقيق يُكتب فيه. وما قط: أي ما قطع – ونحوه؛ وذلك أن الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا إليها وقد قيل لقريش: ممن تعلمتم القط ؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار - وانظر تاريخ الخط العربي - ط مكتبة الكليات الأزهرية.

lxviii المغمس: هكذا ألفيته في نسخة الشيخ أبي بحر المقيدة على أبي الوليد القاضي بفتح الميم الآخرة من المغَمس. وذكر البكري في كتاب المعجم أنه المُغمس بكسر الميم الآخرة، وأنه أصح ما قيل فيه ، وذكر أيضا أنه يروَى بالفتح ، فعلى رواية الكسر هو: مغمِّس مفعل من غمست ، كأنه اشتق من الغميس وهو الغمير، وهو النبات الأخضر الذي ينبت في الخريف تحت اليابس ، يقال: غمس المكان وغمر إذا نبت فيه ذلك ، وأما على رواية الفتح ، فكأنه من غمست الشيء. إذا غطيته ، وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه - كل شجر له شرك - وإنما قلنا هذا؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إذا كان بمكة، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس " - وهو على ثلث فرسخ من مكة، وفي السنن لأبي داود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " كان إذا أراد البراز أبعد " ولم يبين مقدار البُعد. وانظر الروض الأنف للسهيلي من تحقيقنا - أيضا: انظر كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري.

lxix وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة. ويقال فيه: عُلَة على وزن عمر - ابن خالد بن مذحج بعثه النجاشى مع الفيلة والجيش ، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا

هلكت كلها إلا " محمود " فيل النجاشي لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة - والله أعلم.

[lxx] وروى: أوسم الناس وأجمله: ذكر سيبويه هذا الكلام محكيا عن العرب ، ووجهه عندهم أنه محمول على المعنى، فكأنك قلت: أحسن رجل وأجمله ، فأفرد لاسم المضمر التفاتا إلى هذا المعنى، وهو عندي محمول على الجنس ، كأنه حين ذكر الناس قال: هو أجمل هذا الجنس من الخلق ، وإنما عدلنا عن ذلك التقدير الأول ، لأن في الحديث الصحيح:
" خير نساء ركبن الإبل صوالح نساء قريش: أحناه على ولده في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده ". ولا يستقيم ههنا حمله على الإفراد، لأن المفرد ههنا امرأة، فلو نظر إلى واحد النساء لقال: أحناها على ولده ، فإذاً التقدير: أحنى هذا الجنس الذي هو النساء، وهذا الصنف ، ونحو هذا. - عن الروض الأنف من تحقيقنا.

[lxxi] التحرز: التمنع.

[lxxii] شعف الجبال: رءوسها.

[lxxiii] الشعاب: المواضع الخفية بين الجبال.

[lxxiv] معرة الجيش: شدته.

[lxxv] لاهمّ: أصلها: اللهم. والعرب تحذف منها الألف واللام. وكذلك تقول في: والله إنك: " لاهنك " وذلك لكثرة دوران هذا الاسم على الألسنة. بل قد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال. " أجنك " أي " من أجل أنك ". والحلال في هذا البيت: الحلول في المكان والحلال مركب من مراكب النساء والحِلال أيضا: متاع البيت وجائز أن يستعيره ههنا.

[lxxvi] غدواً: غدا، والمحال: القوة والشدة.

[lxxvii] روى السهيلى بعد هذا البيت بيتاً آخر هو:

وانصر على آلِ الصليبِ وعابديه اليومَ آلك

[lxxviii] الهجمة: هو ما بين التسعين إلى المائة من الإبل ، والمائة منها :هُنَيد، والمائتان نِهِند. والثلاثمائة أمامة. وأنشدوا:

تبين رويدا ما أمامة من هند

وكان اشتقاق الهجمة من الهجيمة، وهو الثخين من اللبن ، لأنه لما كثر لبنها لكثرتها، لم يمزج بماء، وشُرب صرفا ثخينا، ويقال للقدح الذي يحلب فيه

إذا كان كبيرا: هجم. والتقليد: أي أن القلائد في أعناقها.

lxxix حراء وثبير: جبلان بالحجاز.

lxxx أَخْفِرْه: أي انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه ، يقال: أخفرت الرجل ، إذا نقضت عهده ، وخفرته أَخْفره: إذا أجرته ، فينبغي أن لا يضبط هذا إلا بقطع الهمزة وفتحها، لئلا يصير الدعاء عليه دعاء له.

lxxxi طماطم سود: يعني العلوج. ويقال لكل أعجمي كافر طمطمان ، والأعلاج: جمع علج.

lxxxii يقال: عبّى الجيش بغير همزة وعبأ المتاع بالهمزة، وقد حكي عبات الجيش بالهمز وهو قليل.

lxxxiii وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جَزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل ، وهو: خثعم ، كذلك نسبه البرقي. ونفيل من المسمين بالنبات وهو تصغير نفل وهو نبت منبسط على الأرض. انظر كتاب النبات لأبى حنيفة الدينوري.

lxxxiv فبرك الفيل: فيه نظر؛ لأن الفيل لا يبرك ، فيحتمل أن يكون بروكه: سقوطه إلى الأرض ، لما جاءه من أمر الله سبحانه ، ويحتمل أن يكون فَعَل فِعل البارك الذي يلزم موضعه ، ولا يبرح ، فعبر بالبروك عن ذلك ، وقد سمعت من يقول: إن في الفيلة صنفاً منها يبرك كما يبرك الجمل ، فإن صح وإلا فتأويله ما قدمناه. عن الروض الأنف من تحقيقنا.

lxxxv الطبرزين: آلة من الحديد.

lxxxvi المحاجن: جمع محجن - عصا معوجُة.

lxxxvii المراق: أسفل البطن.

lxxxviii بزغوه :أدموه.

lxxxix الخطاطيف والبلسان: نوعان من الطيور. وذكر النقاش أن الطير كانت أنيابها كأنياب السبع ، وأكفها كأكف الكلاب.

xc في الشكل فقط وليس في المقدار إذ ذكر البرقي أن ابن عباس قال: أصغر الحجارة كرأس الإنسان ، وكبارها كالإبل. وهذا الذي ذكره البرقي ذكره ابن إسحاق في رواية يونس عنه ، وكانت قصة الفيل أول محرم من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين. عن الروض الأنف بتحقيقنا، الجزء الأول صحيفة 73.

xci ردينا: اسم امرأة، كأنها سميت بتصغير ردنة وهي القطعة من الردن "

الحرير " نعمناكم: أن نعمنا بكم.

xcii فات بمعنى: فارق وبان. كأنه قال على ما فات فوتاً، أو بان بيناً.

xciii الأَنملة: طرف الإصبع ، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الإصبع ، أى ينتشر جسمه قطعة قطعة.

xciv تَمُث: تمُث ، وتَمِث بالكسر والضم ومعهما ترشح أو تسيل ، يقال: فلان يحث كما يمث الزق.

xcv مرائر الشجر: يقال شجرة مرة، ثم تجمع على مرائر.

xcvi العُشر: وهو شجر مر يحمل ثمراً كالأترُج ، وليس فيه منتفع ، ولبن العُشَر تعالج به الجلود قبل المدبغة.

xcvii ذكر ابن هشام أنها لا واحد لها من لفظها: وقال غبره: واحدها: إبالة، وأبول: وزاد ابن عزيز: وإبيل.

xcviii مذانب: مسايل ، حدورها: ما انحدر منها، ويروى جدورها: أي الحواجز التي تحبس الماء. والأتي: الماء يأتى من بعيد. والمطموم: الماء المرتفع.

xcix تفسيره: أن الكاف تكون حرف جر، وتكون اسماً بمعنى: مثل ، وبذلك أنها حرف: وقوعها صلة للذي؛ لأنك تقول: رأيت كزيد، ولو قلت: الذي مثل زيد لم يحسن ، ويدلك أنها تكون اسما: دخول حرف الجر عليها. كقوله:

ورحنا بكابن الماء بنفض رأسه

ودخول الكاف عليها وأنشدوا:

وصاليات ككما يؤثْفَين

وإذا دخلت على مِثل ، كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى:11] فهي إذاً حرف ، إذ لا يستقيم أن يقال: مثلُ مثلِه ، وكذلك هي حرف في بيت رؤبة: " مثل كعصف " لكنها مقحمة لتأكيد التشبيه.

c هو مصدر أَلِفْتُ الشىء وآلَفْتُه فجعله من الإلف للشىء، وفيه تفسير آخر أليق ، لأن السفر قطعة من العذاب ، ولا تألفه النفس ، إنما تألف الدعة والكينونة مع الأهل..انظر ذلك مفصلا في الروض الأنف للسهيلي بتحقيقنا جـ 1 ص 76.

ci المؤلِفون: جمع مؤلف. والمؤلف صاحب الألف من الإبل والمُعِم بالميم: من العيمة أى: تجعل تلك السنة صاحب الألف من الإبل يعام " يشتاق ويشتهي " إلى اللبن. وترجله:فيمشي راجلا، لعجف الدواب وهُزَالها.

cii نسب ابن إسحاق عبد الله بن الزبَعْرى إلى عدي بن سُعيد بن سهم. وهو خطأ، والصواب ، سَعد بن سهم ، وإنما سُعيد: أخو سعد، وهو في نسب عمرو بن العاص بن وائل.

ciii إن كان ابن الزُّبَعرى قال هذا في الإسلام فهر منتزع من قول النبي - صلى الله عليه وسلم – " إن الله حرَّم مكة، ولم يحرمها الناس ". وإن كان ابن الزبَعْرى قال هذا في الجاهلية، فإنما أخذه - والله أعلم - من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط المسند - خط حمير - حين بنوا الكعبة.

civ وقوله: " ولم يعش بعد الإياب سقيمها " هكذا في النسخة المقيدة على أبي الوليد المقابلة بالأصلين اللذين كانا عنده ، وقابلها أبو بحر - رحمه الله - بهما مرتين ، وحسب بعضهم أنه كسر في البيت ، فزاد من قبل نفسه فقال: بل لم يعيش فافسد المعنى، وإنما هو خرم - من مصطلحات علماء العروض - في أول القسم من عجز البيت كما كان في الصدر من أول بيت منها عن الروض الأنف للسهيلي.

cv رَزمَ: ثبت في مكانه ولزمه لا يبرحه.

cvi المحاجن: جمع محجن. عصا معرجَّة. والأقراب: جمع قرب. الخصر: شرموا أنفه: شقوه.

cvii المِغول: سكين كبير. وكلم: جرح.

cviii القُزُم: صغار الغنم ، ويقال: رذال المال.

cix ثأج: صاح. وثؤاج الغنم: صوتها.

cx واسمه: ربيعة بن وهب بن علاج.

cxi صلوا: ادعوا. والأخاشب: جبال مكة.

cxii القاذفات: أعالي الجبال. والمناقب: الطرق في رءوس الجبال.

cxiii ساف: الذي غطاه التراب. والحاصب: الذي أصيب بالحجارة.

cxiv ملحبش: أي من الحبش. والعصائب: الجماعات.

cxv أكبر أولاد أبي طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام ، وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من على - رضى الله عنه - بعشرة أعوام. ولم يُذكر أنه أسلم.

cxvi داحس: الفرس الشهيرة التي كانت حرب داحس والغبراء بسببها. والشعب: الطريق في الجبل.

cxvii السَرب بفتح السين: المال الراعي ، وبالكسر: القطيع من البقر والظِّباء،

ومن النساء أيضا.

[cxviii] واسم أبي الصلت: ربيعة بن وهب بن علاج. كما تقدم اذكره.

[cxix] المهاة: الشمس ، سميت بذلك لصفائها، والمها من الأجسام: الصافي الذي يُرى باطنُه من ظاهره. والمها: البلورة. والمهاة: الظبية. ومن أسماء الشمس: الغزالة إذا ارتفعت ، فهذا في معنى المهاة. ومن أسمائها: البُتيراء ومن أسمائها :حَناذِ، وبراح ، والضح ، وذُكاء، والجارية، والبيضاء، وبُوح ، ويقال: يوح بالياء، والشَّرق ، والسراج.

[cxx] الجران: العنق ، يريد ألقى بجرانه ألي الأرض. وقُطِّر: رمى على قطره وهو الجانب. وكَبْكَب: اسم جبل. والمحدور: الحجر الذى حُدر من جبل حتى بلغ الأرض.

[cxxi] ابذعرُّوا: تفرقوا من ذُعر، وهي كلمة منحوتة من أصلين من البذر والذعر.

[cxxii] الحنيفة: الأمة الحنيفة، أي: المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف - صلى الله عليه وسلم - وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية، أي: عدل عنهما. فسمي حنيفا. أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه.

[cxxiii] غِنَى: أي استغناء.